مؤتمر الكويت

ربما كان هذا المؤتمر أهم المؤتمرات التي عقدت في جزيرة العرب في تلك الحقبة من الزمن، ففي هذا المؤتمر ظهر الأشراف في بغداد والحجاز وشرق الأردن بمظهر الحفاء المتضامنين ضد خصمهم ابن السعود، الذي أحس بالخطر المحيط به، فأخذ يعمل لدفع هذا الخطر، فوجّه همه إلى الشجرة الشريفية في مكة فاقتلعها من جذورها على ما سيجيء بعد.

حاولت الحكومة البريطانية أن تزيل سوء التفاهم بين الشريف حسين والملك ابن سعود، فسعت في أثناء الحرب لاجتماعهما في عدن أو في مكان آخر محايد، وسعت لفتح باب المفاوضات بين الفريقين، ولكن هذه المحاولات لم تثمر الثمرة المطلوبة.

وقد حاولت كذلك حل مشكلة الحدود بين العراق وإيران ونجد، فنجحت بعض النجاح ولن النفوس كانت لاتزال تحمل الإحن، وقد عمل« السير برسى كوكس» صديق الملك ابن السعود لاجتماع الملك فيصل بالسلطان عبدالعزيز، ولكن الظروف- على مايظهر- لم تكن مساعدة من كل وجه فحبط المسعى، ثم أخذت حوادث الحدود النجدية وشرق الأردن تتكرر فيها الاعتداءات من عشائر الفريقين، وأخذ الإخوان يهددون شرق الأردن نفسه أخذاً بثأر إخوانهم، وأخذت الحوادث في الحجاز تأخذ شكلا لايقل خطورة عما يحدث على حدود العراق وشرق الأردن.

ويجب أن نقرر هنا للحقيقة أنه فيما عدا حادث تربة، سنة ١٩١٩م التي أبيدت فيها قوات الشريف حسين لم يكن للملك ابن السعود يد ظاهرة في هذه الحوادث، وما كان يستطيع أن يمنعها تماما إلا بثورة أهلية، ولكن طبيعة التطور

الأخيـر في البادية وانتقـال الإخوان من البادي إلى سكنـي الدور وتشرُّبهم بروح الدين والتـعصب ضد كل من خـالفهم، وبالأخص المجـاورين لهم. والملك ابن سـعود وإن لم يـرغب في الاعتـداءات على البـلاد المجـاورة المشمـولة بالنفـوذ الإنجليزي أو يشجع عليها، فإنه لـم يكن يكره ذلك، فما دام الإخوان يخضدون شوكة الأعـداء ويعودون بالغنائم سالمين، ومـا دام الأعداء يسعون للقضـاء عليه وعلى دولته فلا بأس من تركهم والإخوان يتصارعون. لقد كان الملك ابن السعود ينصح الإخوان من وقت لآخر بالكف عن أذى الحكومات المجاورة والركون إلى السلم، ولكن نصحه لم يكن يلقى أذناً سميـعة من الإخوان، وكانوا يقولون : يا للعجب ! أليس هؤلاء كفاراً؟ أليسوا محاربين لنا؟ أليس كبيرهم يحول بيننا وبين أداء فريضـة الحج؟ فما بال ابن السـعود يأمرنا بالكف عنهم، ومـا له وما لنا؟ إننا نقوم بفريضة الجـهاد، فمن عاش رجع غانماً، ومن مات لقى ا شـهيداً وهو عنه راض! ولكن الحكومة البريطانيـة وقد أصبح لها مركز خـاص في العراق وشرق الأردن يهمها أن يخيم السكون على تلك البلاد؛ لذلك فكرت في عقد مؤتمر في الكويت تحت رئاسـة الكولونيل نوكس رئيس المعتـمدين في الخليج الـعربي لحل جميع المسائل المعلقة بين الأشراف جميعاً وبين ابن سعود.

وصلت الدعوة إلى المؤتمر؛ وكـان السلطان مريضاً مـرضاً خطراً، فتـأخرت الإجابة طبـعاً، وبعد أن زال عنه الخطر وعرضت عليـه الدعوة رأي أن يطلب من الحكومة البريطانية تأجيل المؤتمر ريثـما يتم شفاؤه، ولكن الكولونيل نوكس الذي تقررت إحالته على المعاش كان حريصاً على عقد المؤتمر وعلى حل المشاكل المعلقة التي لا تزيدها الأيام إلا تعـقـيداً وإشكالاً. وهل هنـاك فخـر أعظم من حل هذه العقـد التي تركهـا السيـر يرسى كوكس؛ وهو أقـدر رجل عرفه الـعرب وأعظم الإنجليز مهارة في حل المشاكل!

ظن الكولونيل نوكس، وهو عين الحكومة الإنجليزية في خليج فارس، أن ابن السعود يريد أن يتخلص من الاشتراك في المؤتمر، فأرسل إليه باسم حكومته رسالة شديدة اللهجة لاتخلو من تهديد، فقبل ابن السعود الاشتراك في المؤتمر على مضض، واشترط لقبوله أن لا يشترك الأشراف في المفاوضات مجتمعين، بل يفاوض كل حكومة على حدتها، فقبلت الحكومة البريطانية هذا الشرط.

دور المؤتمر الأول

اجتمع المؤتمر في الكويت، واجتمع مندوبو نجد والعراق وشرق الأردن ولم يحضر أحد عن الحجاز، وبعد عدة جلسات رزينا جميع المندوبين متضامنين، فاحتج مندوبو نجد واعتبروا هذا إخلالا بما اشترطه سلطانهم لقبول الدعوة ووافقتهم وزارة المستعمرات على ذلك، واعتدل مندوبو العراق، وبقى مندوب شرق الأردن على شططه بالرغم من تنبيه رئيس المؤتمر له مراراً، ويكفي أن نذكر هنا طلبات شرق الأردن لتعلم مايكنّه القدر لمؤتمر الكويت.

يطلب مندوب شرق الأردن ما يأتي :-

١- تنفيذ مقررات النهضة التي عقدت بين الشريف حسين وبين الحكومة البريطانية، والتي تقضي بأن تكون حدود حكومة نجد كما كانت سنة ١٩١٩م، ويجب إخلاء الجوف وَسْكاكَه ووادي السرحان جميعه والأراضي الحجازية التي شغلها مثل: تربة والخرمة والحائط والحويط وخيبر وبيشة ووادي شهران وبلاد بني شهر.

٢- تكون الحدود الفاصلة بين الحجاز نجد هي الصحراء القاحلة.

٣- لايمكن عقد صلح على غير هذا الأساس.

وينبغي أن يفهم هنا أن الغرض من الاعتراف بحدود معاهدة سنة ١٩١٩م فقط، هو عدم الاعتراف بما تم من القضاء على حكومة الرشيد وإلحاقها بنجد.

ولما كانت هذه الطلبات عقبة كأداء في سبيل الاتفاق لم يكن هنالك بد من أن تؤجل الحكومة البريطانية المؤتمر بضعة أسابيع، ويرجع كل فريق إلى حكومته لإيقافها على النقط التي دار عليها البحث وأخذ تعليمات جديدة منها، وتقوم الحكومة البريطانية بتقريب مدى الخلاف ونصح كل فريق بالاعتدال كي يمكن الوصرل إلى طريق للاتفاق وإزالة سوء التفاهم السائد بين الجميع. وقد سعت الحكومة البريطانية لحمل الملك حسين على الاشتراك في المؤتمر، فاشترط أن يرسل الأمير زيداً على شرط أن يرسل سلطان نجد أحد أولاده فلم يقبل ابن سعود وصرح بأنه يثق بمندوبيه، ولا يرى أي ضرورة لتغييرهم. وهكذا فشل اشتراك الحجاز في مؤتمر الكويت، وقد أبدى سلطان نجد مهارة فائقة ومرونة سياسية دلت على بعد نظره وتقديره الظروف حق قدرها ، وأنه يعرف عقلية خصومه معرفة تامة.

لقد أوصانا رئيس المؤتمر قبل مغادرتنا الكويت بأن نبذل نفوذنا لإقناع سلطان نجد بالتساهل، وأرسل في الوقت كتاباً لعظمته يشرح له حقيقة الموقف. وبالرغم من التكتم الشديد الذي ساد جو المؤتمر؛ فإن الإشاعات الكثيرة سبقتنا إلى نجد فقام وقعد لها النجديون. لقد كبر على الإخوان أن يسمعوا شرق الأردن والعراق يمليان عليهم هذه الشروط القاسية، وهم لم تنكس لهم راية ولم ينكسر لهم جيش، فقام الدويش ومعه رهطه من الإخوان ومطير وهجم على عشائر العراق، كما أن بعض الأشقياء من مطير كانوا يهجمون من وقت لآخر على حدود وينهبون كل ما تصل إليه أيديهم.

الدورة الثانية للمؤتمر

لم يحضر في هذه الدورة أحد من جهة العراق أو الحجاز، بل حضر مندوبان فقط من شرق الأردن ولم يعدلا عما طلباه في المرة الأولى ، ولكن رئيس المؤتمر منعهما من البحث في أي مسألة من المسائل الخاصة بالحجاز، فانحصر البحث في حدود شرق الأردن ونجد، فطلبوا من نجد أن يكون حدودها النفوذ وتتخلى عن الجوف ووادي السرحان بأكمله، وقد طلب مندوبو سلطان نجد استفتاء أهل الجوف وأخيراً فشل المؤتمر .

أما السبب الحقيقي في فشل المؤتمر فهو صلابة الملك حسين وتعسفه، وعدم وقوف الأشراف في العراق وشرق الأردن على حقيقة الحالة في نجد، وأن أحكامهم على نجد المبينة على مايصل إليهم من الأخبار كانت خاطئة. ولو أنهم تغلبوا على العقبات التي وقفت في طريق المفاوضات في المؤتمر بشيء من التساهل لكان ابن السعود حتى الآن في نجد.

لقد أخبرني إبراهيم بك هاشم أحد مندوبي شرق الأردن أنه سمع في بغداد أن عُمْر سلطنة نجد لا تتجازو الستة الأشهر، كما أخبرنيي حضرة الضابط على خلقي بك بأنه يستطيع أن يقضي على سلطنة نجد في مدة أقصر من هذه المدة، وقد أفهمناهم بأنهم مخطئون جداً وأن مايرى من الاختلال على الحدود ومن شغب الأشقياء لا قيمة له، وأن البادية من قديم لم ينقطع منها أمثال هذا الشغب، وأن ستة الأشهر التي قدرت عمراً لسلطنة نجد ربما كانت عمر حكومة الحجاز، وإنه ليملكنا الأسف والأسى على ما وصل إليه العرب من التخاذل، وأن سكون موقف المتعلمين من العرب هذا الموقف المزري. والحقيقة أن الأشراف جميعاً ومن اشتغل معهم ما كانوا ينظرون إلى ابن سعود إلا أنه رجل بدوي أو شيخ

منظر لجلالة الملك ابن السعود والمرحوم فيصل
على ظهر البارجة «زوبن»

عشـيرة، وأنه ليس بأهل للتـفاهم معـه، وأنه ليس من الخطر بمكان حـتى يخشى منه، ولكن الحوادث كانت كـفيلة بإظهار خطئهم، وأن الآمـال التي كانوا يبنونها على قيام توارث في نجد لم يتحقق شيء منهـا، وأنها أوهان زائفة، وأن ما عجز مؤتمر الكويت عن حله قد حل في أكتوبر سنة ١٩٢٥م في مؤتمري حَدَّاء وبَحْرَة، وفي سنة ١٩٣٠م بين ملكي العراق والحجاز ونجد.

وها هو السكون يخيم علـى الحدود العراقيـة النجدية ويعود الصـفاء بين مكة وبغداد، ويتناسى الفريقان الأحقاد العائلية القـديمة، ويعملان كلاهما على مافيه خير الشعـبين العربيين وها هي شرق الأردن تحذو حذو العراق وتصـفى مشاكلها مع الحجاز ويتبـادل ملكا المملكتين الزيارة، ويتعاون الفريقان تعـاوناً صادقاً على الضرب على أيدي المفسدين من البدو، فيسنود السكون على الحدود وتعود الحياة إلى مجراها العادي ولا تزال آمال مفكري العـرب وعقلائهم، معقودة على اتحاد الأمراء وتعرونهم لخير العرب.

ومصر التي كانت تبتعد عن الحظيرة العربية تتزعم الآن القومية العربية وتنادي الآن بوجوب الاتحاد بين العرب وتسير في هذا الاتحـاد بتكوين الجمهورية العربية المتحدة.

إن الفرصة لا تزال سانحة في تعاون العـرب وتوحيد أهدافهم والوقوف أمام تيار الصهيونية سداً منيعا. وا في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.